

والكتابات التاريخية الغربية هذه الرؤية التي تكاد تلغي أصالة الحضارة العربية الإسلامية أو تلقي بها على هامش الحضارة الغربية.

- د -

التناول الأدبي الذي يزداد اقتراباً من المنظور الاستشراقي للدور العربي الإسلامي في تاريخ الحضارة، وإن لم يتبن ذلك المنظور بالكامل، هو تناول وردزورث الذي ألخصه هنا (علماً بأنني أتناوله بتحليل أوسع في مكان آخر من هذا الكتاب).^(١٥) ففي الكتاب الخامس من قصيدته الكبرى المقدمة يروي الشاعر الإنجليزي الرومانتيكي كيف أنه في أثناء قراءة دون كيهوته على شاطئ البحر أخذه النوم وحلم بأنه في صحراء، ثم لم يلبث أن جاءه أعرابي على جمل وفي يديه شيئان اتضح أنهما حجر وصدفة. وحين سأل وردزورث البدوي عن الحجر والصدفة أخبره البدوي أن الحجر كتاب العناصر لإقليدس، أما الصدفة فقال إن فيها شعراً يتنبأ بطوفان يفرق الأرض، وأن البدوي يسعى لإخفاء الحجر والصدفة، أو الكتاب والقصيدة، كي لا يدمرهما الطوفان. ثم استمع وردزورث إلى الصوت الشعري في الصدفة فأدرك مغزاه رغم غرابة اللغة، وحين التفت رأى الماء يقترب تحقيقاً لنبوءة القصيدة، فطلب وردزورث من البدوي أن ينقذه، لكن هذا الأخير رفض ومضى تاركاً الشاعر يجري خلفه والماء وراءه، إلى أن أفاق الحالم، كما يحدث عادة، في اللحظة المناسبة.

في هذا الحلم الزاخر بالدلالات يهمننا ثلاثة عناصر: العربي، ودون كيهوته، والكتب، ومن ربط هذه العناصر الثلاثة تتشكل قراءة وردزورث للدور العربي في تاريخ الحضارة، كما يتمثل ذلك الدور في صلة العرب بأسبانيا. نوم الشاعر ودخوله في الحلم في أثناء قراءة الرواية الأسبانية، يعني أن الثقافة الأسبانية تمثل إطاراً هاماً للرؤيا. وخروج البدوي من هذا الإطار بسعيه الحثيث لإنقاذ الكتب ليس مستغرباً في سياق الدور الذي يلعبه سيدي حامد بننجلي كمنقذ لـ دون كيهوته، والدور الأكبر الذي لعبه

(١٥) انظر المرجعية العربية لحلم وردزورث في هذا الكتاب.